PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(5): 984-999
ISSN:1553-6939

The Educational and Cultural Dimensions of Reforms in Tunisia from 1837-1881

Djeddaoui Yamina[1], Boukrou Nacer[2]

[1]Laboratory of Mediterranean Historical Studies Through The Ages, University Yahia Fares -Medea (Algeria), E-mail: ydjeddaoui@gmail.com, djeddaoui.yamina@univ-medea.dz

[2]Laboratory of Mediterranean Historical Studies Through The Ages, University Yahia Fares -Medea (Algeria), E-mail: Nassr_ed @yahoo.fr, boukrou.nacer@univ-medea.dz

Received: 05/2024, Published: 06/2024

Abstract:

Since the 1830s, Tunisia has witnessed a reform movement that encompassed the cultural and educational fields. Modern schools, including military, civil, and foreign schools, were established. Reform orders were issued to modernize education in the University of Ez-Zitouna. The printing press was established, newspapers were founded, and the printing and publishing movement flourished. This positively impacted Tunisian society during the 19th century and the first half of the 20th century. Reformist ideas spread, and Tunisia opened up to the outside world to keep pace with progress and advancement, which bore fruit in forming an educated elite that led the reform and national movements in Tunisia.

Keywords: Reform Movement, 19th Century, Tunisia, Culture, Education.

الأبعاد التعليمية والثقافية للإصلاحات في تونس من 1837–1881م

يمينة جداوي[1]، ناصر بوقرو[2]

[1]مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحي فارس –المدية (الجزائر)، البريد الالكتروني:
djeddaoui.yamina@univ-medea.dzydjeddaoui@gmail.com ,

[2]مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور، جامعة يحي فارس –المدية (الجزائر)، البريد الالكتروني:
Nassr_ed @yahoo.fr, boukrou.nacer@univ-medea.dz

ملخص:

شهدت تونس منذ ثلاثينيات القرن 19م حركة إصلاحية شملت المجال الثقافي والتعليمي فتأسست المدارس العصرية منها العسكرية والمدنية والأجنبية وصدرت الأوامر الإصلاحية الخاصة بالتعليم في جامع الزيتونة لعصرنته، وتم إنشاء المطبعة وتأسيس الجرائد وازدهرت حركة الطبع والنشر، مما انعكس إيجاباً على المجتمع التونسي خلال القرن 19م ونصف الأول من القرن 20م فانتشرت الأفكار الإصلاحية وانفتحت على العالم الخارجي لمواكبة التقدم والرقي فأتت ثمارها في تكوين نخبة مثقفة تونسية قادت الحركة الإصلاحية والوطنية في تونس.

الكلمات المفتاحية: الحركة الإصلاحية، القرن 19م، تونس، الثقافة، التعليم.

مقدمة:

كانت الكتاتيب والجوامع والزوايا منتشرة بكثرة في المدن والأرياف ويتم تعليم الأطفال التونسيين القراءة والكتابة حتى يمارسوا دينهم ويطلعوا على القرآن الكريم فكان التعليم منتشرا في الإيالة لكنه بدائي وفي أدنى مستوياته ومتأخراً عن أوروبا وكان منقوصاً وسطحياً يقتصر على حفظ قواعد الإسلام والأحكام الشرعية، وتعليم مختلف طرق تلاوة القرآن الكريم بالإضافة إلى قواعد اللغة والنحو والبلاغة، لهذا كان لابد من الإصلاح.

ونجد البلاد التونسية في مقدمة البلدان الإسلامية التي عاشت في القرن التاسع عشر حركة علمية وفكرية نشطة، فقد اهتمت الحركة الإصلاحية التونسية بالحياة الفكرية وكانت آثارها الثقافية أهم ما تركته وراءها بعد فشل الإصلاحات السياسة.

وكان لدى بايات تونس نية التحديث في بلادهم مقتنعين في الوقت نفسه بأن لا أمل في التحديث ما لم تتجه تونس نحو الأخذ بالمعارف الحديثة، وما لم توجد النخبة المثقفة التي تأخذ على عاتقها إدارة الدفة والسير بالبلاد نحو التقدم وبالتالي أولوا عناية بإنشاء المدارس واقتطعوا للعلماء مبالغ شهرية واستعانوا بمعلمين ومهندسين وفنيين وتقنيين من الخارج وأوعزوا أن ينال التلاميذ النجباء عناية التي يستحقونها.

- ففي ماذا تمثلت هذه الإصلاحات التعليمية والثقافية؟
- وكيف كانت انعكاساتها على المجتمع التونسي؟

أولاً: الإصلاحات الثقافية والتعليمية:

1- الإصلاحات التعليمية:

- تأسيس المدارس:

أ-المدرسة العسكرية بباردو:

تأسست المدرسة في عهد أحمد باي[1]، وفي بداية الإصلاحات إصطدم بغياب القيادات التونسية وهو ما دفع به إلى تأسيس المدرسة الحربية باردو[2] فأنشأ مدرسة عسكرية لتخريج الضباط والفنيين والمهندسين أطلق عليها إسم أو(مدرسة باردو العسكرية) [3]، وتأسست بباردو سنة 1840م وأرسلت الحكومة الفرنسية أساتذة لتدريس[4]بها، وعين مديراً لإدارتها المستشرق الإيطالي كاليقاريس[5] Calligaris واتخذ مدرسة أسكي سراي Eski Saray مثالاً يحتذى به في تنظيمه لمدرسة باردو[6]، وكان الهدف منها تكوين إطارات وطنية عصرية كضباط

[1]-أحمد باي: هو أبو العباس أحمد بن مصطفى بن محمود بن محمد الرشيد بن حسين بن علي تركي، ولد في 2 ديسمبر 1806م رباه مصطفى صاحب الطابع، تولى الحكم وتمت بيعته 10أتوبر 1837م، أرسل له السلطان محمود الثاني فرمان التولية والنيشيين المشيرية، وقام بعدة إصلاحات منها جمع أكثر من30 ألف جندي وبنى الرباطات والأبراج وشحنها بالسلاح والمدافع وأقام المصانع منها مصنع الملف بطبربه وألغى الرق، وسافر إلى باريس، وجمع الكتب والمجلدات بجامع الزيتونة أرسل المساعدات للدولة العثمانية في حربها مع روسيا، توفي في 1جوان 1855م،أنظر محمد بن عثمان السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع محمد الشاذلي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م ، ص ص137-145.

[2] فتحي معيفي، "النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر"، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية**، المجلد 10، العدد 2، 2019م، ص166.

[3] شوقي عطا الله الجمل، **المغرب العربي الكبر في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م، ص114.

[4] الحبيب الجنحاني، « الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر » ، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد6، 1969م، ص118.

[5] كاليقاريسCalligaris: وهو مستعرب إيطالي درس العربية بالشام وسافر إلى إسطنبول سنة 1832م واشتغل بالجيش التركي، حيث عمل بالتدريس في المدرسة العسكرية التركية أسكي سراي ثم كلف فيما بعد بالتدريب فرقة الحوانب في جيش أحمد باي والتدريس بمدرسة باردو، توفي في تونس 1862م، أنظر لطفي بوعلي، **ديناميكية التحديث العسكري في البلاد التونسية خلال القرنين 18-19م: مقاربة في التاريخ الاجتماعي**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس، جامعة تونس، 2015م ص365، وأنظر الشيباني بنبلغيث، **أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837-1917م**، ط1، مكتبة علاء الدين، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2003م، ص24.

[6] Jean Ganiage, Preface Khalifa Chater, Les Origine du protectort Français en Tunisie 1861-1881, BERG Editio, 1959., p79.

وفنيين ومهندسين وموظفين[1] قادرين على تعويض الفنيين الأجانب، وعوض أن يبعث بالطلبة إلى أوروبا أصبح تكوينهم في تونس وتعتبر هذه المدرسة ثورة في مجال التعليم من حيث الشكل والمضمون فقد كان التعليم في تونس يعتمد على تعليم الدين الإسلامي و بدون إبداء الرأي، ولهذا كان لابد من إرساء تعليم عصري يعتمد على البرامج والمناهج الحديثة ويستند على العقل والنقد على غرار ما هو موجود في البلدان الأوروبية.

فكانت المدرسة الحربية بباردو أول نواة للتعليم العصري ببلاد أدرجت في برامجها إلى جانب العلوم الدينية واللغة العربية الرياضيات والتاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية، وخصوصاً منها اللغة الإيطالية والفرنسية[2] التي كانت تدرس بها المواد التقنية والعلمية[3]، بالإضافة إلى المدفعية والتعبئة الحربية[4].

وكانت طريقة اختيار التلاميذ تقوم على الإنتقاء الدقيق من حيث العمر الذي لا يتجاوز 15 سنة وعلى اختبار الذهني واختبار بدني، ويدرس التلميذ بها من 6 إلى 9 سنوات ويكون التلميذ بعدها قادر على الإضطلاع بالمهام العسكرية الموكلة له عند الإلتحاق بإحدى الفرق[5]. وقد انتدب أحمد باي لتدريس بها الشيخ المصلح محمود قابادو[6] والكاتب الضليع محمد التطاوني والشيخ محمد البشير التواتي[7] [8] وغيرهم من علماء وأساتذة أتراك[9] وأوروبيين قدموا من فرنسا وإيطاليا[10]وإنجليترا[11]، وبدأت هذه المدرسة عملها ب 50 تلميذ اختيروا من المماليك وأبناء البلاد[12].

---

[1] نورالدين الصغير، **إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن 19م**، أطروحة دكتوراه دولة، السنة الجامعية 1992-1993، جامعة الزيتونة، تونس، ص236.

[2] Azzedine Guellouz, Abdelkader Masmoudi, Histoire Générale de la tunisie tome 3 Les temps Modernes، Sud Editions, Tunis، 2010, p377.

[3] علي محجوبي، تع عمر بن ضر، حليمة قرقوري، علي محجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للنشر، تونس، 1986م، ص ص85-87، وأنظر أيضاً نورالدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص236.

[4] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 114.

[5] لطفي بوعلي، **التحديث العسكري قراءة ميكرو-تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881م)، ط1**، سوتيميديا لنشر والتوزيع، تونس، 2019م، ص ص217-218.

[6] محمود قابادو: ولد سنة1815م هو الأديب والشاعر والعالم بالرياضيات، أصل سلفه من الأندلس دخل الكتاب وحفظ القرآن الكريم وتميز بالذكاء الوقاد ثم تبلد وفقد توازنه وسافر إلى ليبيا ودرس هناك في إحدى فروع الطريقة الشاذلية ثم عاد إلى تونس ودرس بجامع الزيتونة ثم سافر إلى استانبول وعاد ليصبح مدرس بمدرسة باردو حتى سنة 1855ثم أصبح مدرس بجامع الزيتونة تولى القضاء والإفتاء بعدها وتوفي سنة 1871م له ديوان شعر في جزاءين وشرح ديوان للمتنبي، أنظر محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص ص41-44.

[7] محمد البشير التواتي: محمد البشير البجائي الأصل لم تكن له علاقة بالتوات، كان شيخ القراءات في عصره وبعد تخرجه من جامع الزيتونة تولى تدريس القراءات به والتصحيح بالمطبعة الرسمية، من مؤلفاته: ثبت اشتمل على أسانيده في القراءات، مجموع الإفادة في علم الشهادة، أنظر محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص ص192-193.

[8] حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية، تونس، ب ت، ص 166.

[9] جلب أساتذة أتراك أنظر حسن حسني عبد الوهاب، مرجع سابق، ص166، وأنظر سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، الأردن، 1997م، ص446.

[10] علي المحجوبي، المحجوبي علي، **النهضة الحديثة في القرن 19م لماذا فشلت بصر وتونس ونجح باليابان**، سراس للنشر، تونس، 1999م، ص87.

[11] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 114.

[12] الشيباني بن بلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882م)**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس، صفاقس تونس، 1995م، ص56.

ويقول ابن أبي ضياف: ((...**في مارس 1840م رتب الباي مكتباً حربياً ببارد...لتعليم العسكر النظامي...ولتعليم اللغة الفرنساوية ... ورئيسه العالم الماهر آلاي كالي قارس من اعيان إيطاليا...واول مدرس العالم الاديب محمود قابادو، بحيث يخرج التلميذ عالماً بما يلزمه في غير العلوم العسكرية متضلعاً في اللغة الفرنساوية...والعلوم العقلية**))[1].

وقد وصف محمود قابادو استعراضاً للجيش سنة 1848م في حصون بلدة لمحمدية بأبيات شعرية:

ثبتوا على سرج الجياد تقودها * عزماتهم لا القبض والإرخاءُ

قد سخروا منها الرياح تقلهم * ان حال أخدود ولاح نجاءُ

لبسوا السواد وأعلموا بأهلة * وعلا الأسود الليلة القمراءُ[2]

وبعد أن توقفت في أواخر أيام أحمد باي رجعت المدرسة بعد وفاته[3] في عام 1856م[4]، وفي عهد محمد الصادق باي تم بناء بناية جديدة للمدرسة وحضر الافتتاح بنفسه في 3 سبتمبر1860م[5]، وكلف الباي المستشرق ارنست دي تافرن Ernest de Taverne بإدارة المدرسة[6]، ووصل عدد الطلاب في المدرسة عام 1862م 102 طالب[7]، وكان نظام إقامة الطلاب فيها في الثكنات بلباس موحد ونظام كامل، إلا أنهم يختلفون عن الجنود العاديين في المؤونة حيث نظام المؤونة عندهم مثل ضباط في الوحدات العسكرية اللذين يحملون رتبة ملازم لأنهم يتخرجون حاملين هذه الرتبة من المدرسة[8].

ب- المدرسة المحمدية:

أسسها أحمد باي عام 1843م لما اتخذ المدينة المحمدية مقرا لإقامته، وكل ما نعرفه عن التعليم بها هو أن بعض المواد الدراسية الحديثة كانت تدرس بها بالإضافة إلى العلوم الدينية[9]، وقد اندثرت مع المدينة المحمدية.

ج- التشجيع على تأسيس المدارس الأجنبية:

وكان تأسيس تلك المدارس صادر عن رغبة شخصية ودينية وتبشيرية، ووجدو كل الترحيب والتشجيع من بايات تونس وقدموا لهم الدعم المالي والأبنية الجاهزة، منها:

المدرسة الإيطالية تأسست عام 1835م، المدرسة الملطية تأسست عام 1831م، المدرسة الإنجليزية تأسست عام 1831م، المدرسة الإسرائيلية تأسست عام 1840م، مدرسة ومعهد القديس لويس تأسس عام 1841م، مدرسة الأمومة تأسست عام 1846م، وهناك

[1] أحمد ابن أبي ضياف، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، **إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، منشورات زخارف، تونس،2021م ج4، ص 36-37.

[2] بريست العابيرين السنوسي، **محمود قابادو**، مطبعة العرب، تونس، 1951م، ص38.

[3] الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**، ص57.

[4] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، " التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1859-1881م(دراسة في طبيعتها وابعادها "، **Route Educational Social Science Journal**، Volume6، 2019م، ص ص516-517.

[5] أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ج5، ص40.

[6] أحمد الطويلي، **التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2005م، ص77.

[7] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، المقالة السابقة، ص ص516-517.

[8] الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**، ص97.

[9] رشاد الإمام، **التفكير الإصلاحي في تونس في القرن 19م إلى صدور قانون عهد الأمان**، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010م، ص181.

((راهبات القديس يوسف للظهور)) أسسن عدة مدارس في المدن التونسية منها مدرسة مدرسة نهج سيدي صابر عام 1840م، مدرسة باب قرطاجنة عام 1842م، مدرسة مدينة سوسة عام 1843م، وغيرها من المدارس...[1].

د- تأسيس المدرسة الصادقية:

أسس خير الدين لجنة في عام 1874م لإصلاح التعليم وكان أعضاءها من علماء الزيتونة تتحاشى العصرنة فيه، لهذا كان الخيار أمامهم هو إنشاء معهد تدرس فيه العلوم العصرية والتي لا تخالف الشرع[2]، فصدر الأمر في جوان 1874م[3] بتأسيس المدرسة الصادقية[4]، وتم تحرير نظام أساسي للمدرسة الجديدة[5] مؤلفاً من 82 فصلاً واختيرت قشلة سيدي المرجاني مقراً للمدرسة[6]، وسميت بالمدرسة الصادقية في 13 جانفي من عام 1875م[7] وأوقف عليها أهم الأوقاف ذات المداخيل الكبيرة[8]، تمثلت في 434 من الأملاك التابعة للدولة[9]، منها 231 ملكية عقارية وقع إنتزاعها من مصطفى خزندار[10] تعويضا عن ديونه لدولة مما مكنه من توفير مجانية التعليم في هذا المعهد[11]، وجلب لها مدرسين من تركيا وفرنسا وإيطاليا مع المعدات الخاصة بتدريس العلوم العصرية كالجغرافيا والكيمياء والطبيعة[12]، والرياضيات واللغتين الفرنسية والإيطالية...إلخ وقد وفرت المدرسة التعليم المجاني ل150 تلميذا[13]، حيث وفر لهم الإقامة والمأكل والمشرب واللباس[14]...، وكان الهدف منها التوفيق بين العلوم التقليدية والعصرية وتعليم اللغات وإرسال الممتازين من خريجيها لدراسة في جامعات أوروبا[15]، فأوفد بعضهم إلى معهد القديس لويس بباريس ومؤسسة ديفينيو دي لانو Duvignaud De Laneau[16].

وقسم المعهد إلى ثلاث شعب الأولى مخصصة للتعليم الابتدائي[17] لتعليم القرآن والكتابة والمتون والثانية للعلوم الشرعية أي التقليدية والثالثة لتعليم اللغات والعلوم العقلية[1].

---

[1] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص171-174، وأنظر:

A.De.Flaux, **La Regence de Tunis Au xix° Siecle**, Libraire- Editeur, Paris, 1865 , p23 .

[2] نور الدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص ص239 -240.

[3] الشيباني بنبلغيث، **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى 1914م**، ط1، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفاقس، 2004م، ص107.

[4] Jean Ganiage, op .cit, p288.

[5] نور الدين الصغير، المرجع السابق، ص ص239 -240.

[6] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص179.

[7] نور الدين الصغير، المرجع السابق، ص ص239 -240.

[8] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص177.

[9] الشيباني بنبلغيث، **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس**، ص107.

[10] Jean Ganiage, op .cit, p288.

[11] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص126.

[12] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص177.

[13] خير الدين التونسي، تع وتح محمد العربي السنوسي، **مذكرات خير الدين باشا**، مطبعة المغرب للنشر، بيت الحكمة، تونس، 2008م، ص270.

[14] عبد القادر دوحة، "الإصلاحات الثقافية والعلمية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م وعلاقتها بالحضارة الغربية"، **الحوار المتوسطي**، العدد 8، مارس 2015م، ص87.

[15] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص125.

[16] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، المقالة السابقة، ص518.

[17] نور الدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص240.

وتم إسناد إدارة المدرسة لأمير اللواء محمد العربي زروق وتراوحت أجور المدرسين والمدير بين 2400 ريال إلى 6000 ريال[2].

وكان الهدف منها تكوين فئة ذات تكوين إداري وسياسي يمكنها تسلم الوظائف الإدارية فيما بعد[3].

فيذكر في مذكرات خير الدين: «...**إن الأمير الأمراء خير الدين لفخور بالشرف الذي نال بلده بأن يتدرب الشاب التونسي على العلوم الأوروبية فتأسس معهد حيث تمكن 150 تلميذا من الحصول مجاناً إضافة إلى التعليم الإسلامي، على تعلم اللغتين الفرنسية والإيطالية والرياضيات...** »[4].

ح- إصلاح التعليم في جامع الزيتونة:

وكان أحمد باي أول من استهواه التجديد في التعليم الزيتوني في منتصف القرن 19م وإحداث مؤسسات تعليمية عصرية على غرار أوروبا[5] فقام بتنظيم جامع الزيتونة[6] بإصدار منشوره[7] الشهير في 1نوفمبر[8] 1842م[9]، فرتب ثلاثين مدرساً فيه نصفهم من المالكية ونصفهم من الحنفية، ويقرئ كل واحد منهم درسين في الجامع من أي فن شاء ويأخذ ريالين[10]، في كل يوم[11] وحبس عليهم دخل بيت المال وكتب ذلك في منشور[12] المعروف بالمعلقة[13] لأنه كتبه بالذهب وعلقه عند باب الشفاء من جامع الزيتونة[14].

وهذا المنشور لم يعين العلوم الواجب تدريسها وكذلك الكتب لم يعينها، ولم يحدد توقيت الدروس[15].

ويقول ابن أبي ضياف أنه كان يأتي الجامع في غير أوقات الصلاة ويجلس وراء حلقة التدريس ولا يقوم له أحد من الطلبة او الشيوخ.

وفي وصف الإهتمام بالحركة العلمية قال ابن أبي ضياف: ((...**وفي هذه الأيام نفق سوق العلم وتجدد شبابه، وسال سيله وعب عبابه، وانفتح للإجتهاد بابه، وتظاهرت أسبابه، واشرقت بأفق هذه الحاضرة نجوم وآهلة مدهم الآن شموس وبدو، وتتجمل بهم المحافل والصدور...**))[16].

---

[1] الشيباني بنبلغيث، **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس**، ص107.

[2] محمد بن الخوجة، تق تح حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص ص312-313.

[3] عبد القادر دوحة، المقالة السابقة، ص89.

[4] -خير الدين التونسي: المصدر السابق، ص270.

[5] نور الدين الصغير، المرجع السابق، ص 228.

[6] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص169.

[7] للإطلاع على المنشور أنظر الطاهر الحداد، تح محمد أنور بوسنينة، تق رجاء بن سلامة، **التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة**، دار الكتب الوطنية، تونس، 2020م، ص ص31-32.

[8] أول ديسمبر حسب محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص142، 31 أكتوبر الطاهر حداد، المصدر السابق، ص32.

[9] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص126، وأنظر:

. 366p,Azzedine Guellouz , Abdelkader Masmoudi, op-cit

[10] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص142، وأنظر أيضاً أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص 65.

[11] الطاهر حداد، المصدر السابق، ص31.

[12] المنشور موجود في كتاب الإتحاف لأحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص ص65-66.

[13] أحمد عبد السلام، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط 1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1987م، تونس، ص68.

[14] فتحي المعيفي، المقالة السابقة، ص176، وأنظر أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص 65.

[15] الطاهر حداد، المصدر السابق، ص32.

[16] أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ص 68، وأنظر أيضاً الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص127.

ثم أصدر محمد الصادق باي منشورا في 27 سبتمبر 1870م يقضي بإعانة مالية لمدرسي جامع الزيتونة وتفقدهم في كل شهر، ثم أصدر أمراً أخر في نفس العام يفصل بمقتضاه التناوب على التفقد ويقوم به أربعة برتبة أمير الأمراء، وينص هذا الأمر على أن كل واحد من الأربعة يجب عليه أن يفد تقريراً مفصلاً للباي يخص حضور المدرسين وغيابهم بالاسم، وما يدرسه كل واحد منهم وعدد دروسه ويذكر كل ما يتعلق بأحوالهم[1].

وقام خير الدين كذلك بمجموعة من الإصلاحات خاصة بالتعليم في جامع الزيتونة، حيث كان الهدف من التعليم فيه هو تحصيل العلم ورفع الجهل ولم يكن المقصود منه تحصيل الشهادات[2]، فتم إدخال الإصلاحات على جامع الزيتونة[3]، المتضمنة قائمة مواد التعليم وضبط نظام الإمتحانات والمناظرات وأكد على مواظبة التلاميذ والمشايخ[4] حتى وصل عدد الدروس المقدمة إلى أكثر من عشرين ألف درس وعدد التلاميذ إلى أكثر من 700 تلميذ وعدد العلماء 58 عالماً[5]، ولم يتم المساس بجوهر الديني لهذا النمط من التعليم، وذلك لمعارضة مشايخه الإصلاح الجذري[6]، فزاد مرتبات المدرسين فيها[7]، وإدخال إمتحان النقل والشهادات وكان ذلك في 26ديسمبر 1875م[8]، بوضع قانون مؤلف من خمسة أبواب يشمل 67 فصل وبموجبه قسم التعليم به إلى ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: أربع سنوات.
- المرحلة الثانية: ثلاث سنوات.
- المرحلة العليا: سنتان[9].

وترتيب امتحان التطويع والإشهاد لمن ينال شهادة التطويع وإسقاط التكاليف المالية والعسكرية لمن ينقطع لدراسة العلم بالمعهد[10]، وقد صدرت عدة أوامر علية ترمي إلى الإصلاح والتحديث في جامع الزيتونة على مر السنوات التالية: 1870م-1875م-1876م-1878م-1880م[11].

2-الإصلاحات الثقافية:

أ- تأسيس المكتبات:

1- المكتبة الأحمدية:

ومن المآثر الثقافية التي تمت خلال فترة حكم أحمد باي تأسيس المكتبة الأحمدية[12] سنة 1840م[1] بجامع الزيتونة الأعظم وعمرها[2] بآلاف من المخطوطات النفيسة، وكانت خلال قرن كامل مرجع للباحثين،[3] وكما يقول ابن أبي ضياف: ((...**طريق العلم على الفقراء بل والأغنياء...**))[4].

---

[1] أحمد الطويلي، **التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، ص169.

[2] عبد القادر دوحة، المقالة السابقة، ص84.

[3] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص125.

[4] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص125.

[5] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص176.

[6] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص125.

[7] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص125.

[8] نور الدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص239.

[9] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، المقالة السابقة، ص518.

[10] الطاهر الحداد، المصدر السابق، ص36.

[11] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص187.

[12] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص 123-125، أنظر شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص115.

وزودها أحمد باي بالكتب منها كتب حسين خوجة التي بيعت في دين بذمته، واشترى بعد ذلك كتب كثيرة ألحقها بها، منها كتب الشيخ إبراهيم الرياحي بعد وفاته[5]، وبالإضافة إلى هذه الكتب كان ومنذ تسلمه الحكم عام 1837م يجمع في المخطوطات فبعث وكلاء إلى سائر الأنحاء التونسية لجمع المخطوطات الموزعة هنا وهناك، وخاصة في الجوامع والمساجد، من أجل جمع شملها في مكان واحد خوفاً عليها من التلف والضياع، وهكذا فقد أمكن لهذا الباي جمع أكثر من ألفي مخطوط نادر، في الأدب والطب والسياسة والتاريخ والدين والفقه والعلم، ولم يكتفي أحمد الباي بعملية الجمع بل لجأ إلى استخدام عدد من الوراقين من أجل ترميم الكتب التالفة وتجديدها، إضافة إلى تحصين الكتب الي كانت لاتزال سليمة[6] وضم هذه الكتب بمكتبة الحسينية بقصره بجامع بيت الباشا ثم أضافها إلى المكتبة الأحمدية[7]، ووضعت هذه الكتب في خزائن المكتبة العشرون بالجامع بعد تصنيفها حسب أسمائها وتقييدها في الدفاتر ورتب لها وكلين يأتي كل واحد منهما الجامع على التناوب لمناولة الطلبة ما يحتاجون إليه[8].

- وكان عدد الكتب سنة 1840م:2527 مخطوطاً.
- عدد الكتب سنة 1841م: أضاف إليها 65 مخطوطاً.
- وعدد الكتب سنة 1842م: أضاف لها 104 مخطوطاً[9].

حيث أصبحت المكتبة الأحمدية متخصصة في المخطوطات فقط في ذلك الحين لعدم وجود مطبعة رسمية في تونس رغم أن فكرة المطبعة الرسمية ظهرت في عهد أحمد باي حيث عثر على تقرير، ولكنها لم تطبق في عهده حتى سنة 1860م[10].

وقد كان تأسيس الأحمدية حدثاً ثقافياً هاماً سرعان ما انتشر خبره في الأوساط العلمية، ونظمت فيه قصائد المدح[11] وقال فيها أحمد بن أي ضياف: ((...**وياله من عمل ذلل صعاب العلوم وراضها، وأنشأ حدائقها ورياضها، وأجرى جداولها وحياضها، وأصاب شواكلها وأغراضها، ونسج على غير مثال، إنهل به ودق العلم وأنثال، وسرى ذكره مسرى الأمثال**...))

وفي خطبة إبراهيم الرياحي قال: ((... **وحيث كان العلم بهذا الشرف الأثيل...كيف وقد تيسرت في هذا الزمان المبارك أسبابه، وفتحت للمعلمين والمتعلمين أبوابه، وتضوعت في بيت الله أعطاره وطلعت فيه شموسه وأقماره**...))[12].

2- المكتبة العبدلية:

---

[1] أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ص50، وأنظر أيضاً شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص 115.

[2] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص 141، وأنظر حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص169، وأنظر نور الدين الصغير، الرجع السابق، ص 232.

[3] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص ص 123-125.

[4] أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص50.

[5] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص ص 123-125

[6] سمير أبو حمدان، **خيرالدين التونسي أبو النهضة التونسية**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1993م، ص 26.

[7] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص ص 123-125

[8] الهادي بن يونس بن محمد الإنكشاري، **الدولة الحسينية من1705-1855م**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ب ت، ب م، ص36، وأنظر أيضاً أحمد بن أبي ضياف، المصدر السابق، ص50.

[9] الشيباني بنبلغيث، **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس**، ص 114.

[10] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص131.

[11] راجع نص الخطبة كاملاً ل إبراهيم الرياحي، وراجع قصيدة محمد الطيب الرياحي، وراجع قصيدة محمد بيرم، أنظر أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص ص50-53.

[12] أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص ص 50-51

وأسس خير الدين ثلاث مكتبات أهمها[1] المكتبة العبدلية[2] وتعرف بالمكتبة الصادقية[3]، بجانب جامع الزيتونة[4]، عام 1875م[5]، وجمع بها الكثير من الكتب التي كانت مبعثرة في الجوامع والمدارس[6] وأضاف إليها أكثر من ألف ومئة مجلد مخطوط[7] من كتبه الخاصة ووضع لها شروط الانتفاع بها من مطالعة وإستنساخ دون إخراجها[8]، ووصل عدد الكتب بها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب[9]، أما حسب رشاد الإمام ما لا يقل عن خمسة آلاف مجلد نفيس[10].

ب–حركة النشر والطبع:

جلب محمد باي أحرف الطبع وآلات الطبع الحجري واستعمل المطبعة في الحفصية لطبع التذاكر الخفيفة العمل[11] فهو أول من أدخل المطبعة الحجرية إلى البلاد عام 1857م[12] وأشرف عليها أوغست فردينان قارباريون[13] وطبع بها عهد الأمان[14]، ثم أدخل الطباعة العربية لنشر الأوراق الرسمية باللغة العربية[15].

ثم قام محمد الصادق بفتح دار المطبعة لطبع الصحف والكتب ونشر صحيفة الرائد[16] خاصة بالأخبار السياسة الداخلية وأخبار الدول الخارجية تمديناً للشعب وكان ذلك في20جويلية 1860م[17].

وقد اهتم خير الدين بحركة الطبع والنشر وأولى جريدة الرائد عنايته وتشجيعه[18] حيث إنتظمت أعدادها في الصدور وبعث جريدة (الرياض التونسي) التي أهملت من جراء الأزمة المالية عام 1860م حيث أصبحت هذه الجريدة تمثل الصوت الرسمي وقناة تواصل بين الدولة والشعب، وقد استغل خير الدين الصحافة لأغراض السياسية ونشر أفكاره، أما بالنسبة للنشر فتضاعف نشر الكتب التاريخية والأدبية فعرفت الطباعة إنتعاشاً ملحوظاً[19].

ج– الإصلاحات الدينية:

– دائماً كان يؤكد أحمد باي أن الإصلاحات هي إصلاحات للدين وبعدها تسلم قابادو هذه الفكرة وتجند نفسه للتأكيد عليها.

---

[1] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص191.

[2] نور الدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص239.

[3] محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص306، وأنظر أيضاً رشاد الإمام، المرجع السابق، ص191.

[4] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص177.

[5] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص191.

[6] محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص306.

[7] سمير أبو حمدان، المرجع السابق، ص46، وأنظر: Jean Ganiage, op .cit, p 288

[8] محمد بن الخوجة، المصدر السابق، ص306.

[9] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص181.

[10] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص191.

[11] محمد عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص ص155 ص149.

[12] Azzedine Guellouz, Abdelkader Masmoudi, op-cit, p 383

[13] الهادي التيمومي، **تونس والتحديث (1831–1877م) أول دستور في العالم الإسلامي**، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م، ص117.

[14] محمد عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص ص155 -149.

[15] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 172، وأنظر أيضاً شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص117.

[16] Azzedine Guellouz, Abdelkader Masmoudi, op-cit, p 387

[17] أحمد ابن أبي ضياف، المصدر السابق، ص31.

[18] شوقي عطا الله الجمل، المرجع السابق، ص125.

[19] عبد القادر دوحة، المقالة السابقة، ص ص90-92.

– فتح باب الاجتهاد وظهور أفكار دينية جديدة.

– أمر بتنظيم الحفلات الدينية يكون في المساجد والزوايا بقراءة القرآن وترتيل الأذكار والمدائح في المولد النبوي الشريف وعيد الفطر وعيد الأضحى ومنع الرقص والأغاني والشعوذة فيهم.

– المساواة بين المذهب المالكي والحنفية في المدرسين في القضاة وأهل المجلس الشرعي.

– إحداث منصب شيخ الإسلام وأول من لقب به باش مفتي الحنفية الشيخ محمد بيرم الرابع[1].

ثم عين الباي بجانبه شيخ الإسلام مالكي، كما لأعضاء المجلس الشرعي المالكي مرتبات متساوية مع مرتبات أعضاء المجلس الشرعي الحنفي[2].

ويبدو أن تونس في عهد أحمد باي عاشت نهضة ثقافية[3]، **حيث يقول السنوسي: ((وأصبحت تونس كثيرة الفحول، من حفظة المعقول والمنقول))**[4]، لكنها سرعت ما تعثرت بعد وفاته وهذا بسبب انعكاس الحياة السياسية على الحياة الفكرية[5].

ثانياً–إنعكاسات الإصلاح التعليمي والثقافي في تونس:

1– نتائج تأسيس هذه المدرسة العسكرية بباردو:

– أصبحت هذه المدرسة بمثابة النافذة المفتوحة على العلوم والمناهج والأفكار الأوروبية الحديثة.

– تمكن من خلالها الكثير من الشبان التونسيين من الخروج من الإنغلاق والتفتح على الحضارات الأجنبية.

– تعليم اللغات الأجنبية واللغة الفرنسية خصوصاً مكنت الشبان التونسيين من استعاب النهضة الأوروبية الحديثة بجل ابعادها والتأثر بها[6] والتعرف على ما أنتجه الفكر الأوروبي[7].

– كان لها الأثر الكبير على الفكر الإصلاحي فتخرج منها الكثير من المصلحين أمثال خير الدين[8] [9]والجنرال رستم والجنرال حسين[10] أول رئيس للمجلس البلدي بالعاصمة في شهر أوت 1858م وأول مدير للمطبعة الرسمية والرائد التونسي اللذين تأسسا سنة 1860م وأول وزير للمعارف بالبلاد التونسية[1].

---

[1] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص191–211.

[2] حسين جبار إبراهيم، " إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي (دراسة تاريخية)"، **المستقبل العربي**، المجلد 40، العدد 464، 2017م ، ص 75.

[3] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص131.

[4] محمد بن عثمان السنوسي، المصدر السابق، ص144.

[5] الحبيب الجنحاني، المقالة السابقة، ص127.

[6] حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص167.

[7] حبيب حسن اللولب، " الإصلاحات ودورها في التحديث السياسي في البلاد لتونسية "، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، العدد 3، 2017م، ص44.

[8] خير الدين التونسي: 1820–1890م أصله من قبيلة أباضة الجركسية ، خطفه مساحون وهو طفل وأقتيد إلى سوق الرقيق في استانبول واشتراه نقيب الأشراف تحسين بك وتعلم اللغة الفرنسية وعندما بلغ عمره 17م باعه في سوق الرقيق لمبعوث الباي التونسي الذي يبحث عن مملوك صغير يتقن اللغة الفرنسية وصل تونس سنة 1837م تعلم في قصر أحمد باي اللغة العربية والقرآن الكريم وإلتحق بمدرسة باردو الحربية تدرج في الرتب العسكرية للخيالة حتى أصبح أمير لواء سنة 1850، إلتحق بحاشية الباي، أرسله الباي لفرنسا لعدة مهام منها بيع المصوغة واسترجاع الأموال المنهوبة، عينه محمد باي وزير الحربية سنة1857م ثم كاهية رئيس المجلس الأكبر استقال منه 1862م وتفرغ للكتابة وفي عام 1870عينه محمد الصادق باي رئيس لجنة الكوميسون المالي وتولى الوزارة سنة 1873م وقام بعدة إصلاحات وتسديد جزء من الديون، استقال بسبب النميمة والجو المتعفن سنة 1877م وسافر لأستانبول ثم تولى منصب الصدر الأعظم سنة 1878م واستقال أيضاً عام 1879م وأصبح عضو في مجلس الأعيان حتى وفاته في عام 1890م، أنظر محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، 1982م، ص ص271–279.

[9] حسن حسني عبد الوهاب، نفسه، ص167.

[10] الجنرال حسين: أصله من المماليك الجركسية عالم عسكري وسياسي دخل تونس في عهد مصطفى باي درس في مدرسة باردو وترقى في الجندية حتى أصبح أميرالاي تولى رئاسة أول مجلس البلدي، كان من ذوي النزعة الإسلامية وتمتين الروابط مع الدولة العثمانية، تقلد منصب وزير الأستشارة في سنة 1874م وسافر

– وقد مكنت هذه المدرسة العصرية من مواكبة التطور الفكري والعلمي لأوروبا الغربية خاصة فرنسا.

– إن الإحتكاك الأول بين الزيتونة وبين المدرسة الحربية ممثلة في توجهات محمود قبادو ووجود صراع قائم بين التخلف والتقدم وكأن أحمد باي ألف بين التيارات الفكرية السائدة في أوساط النخبة المثقفة[2].

– ولم يكن جيش أحمد باي مدرباً تدريباً جيداً كما كانت تنقصه الأسلحة والتجهيزات بحيث كان لا يستطيع مواجهة جيش عصري أوروبي لهذا تفادى أحمد باي إندلاع مواجهات مع الدول الأوروبية ورفض الإتصال بقائد المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر، وأنذر قناصله الذين سمحوا لأنفسهم بمساعدته حيث غضب عليهم عندما إبتاعوا السلاح للأمير عبد القادر، كما حاول تطويق الخلافات الفرنسية التونسية على الحدود وتسويتها ودياً[3]، باستثناء الأزمة التجارية بين تونس وسردينيا في الفترة الممتدة بين (1834–1844) م التي كادت تؤول إلى حرب بين الطرفين إذا وصلت إلى تعبئة البلدين لجيشهما، حينها تدخل الباب العالي[4].

–وقد عانت المدرسة من سلبيات كثيرة كانت سبباً في توقف الدراسة فيها ولسنوات عدة منها عام 1864م ومن أهم أسباب المشاكل الأزمة المالية في تونس وانعكاساتها التي وقفت حائلاً دون دفع أجور الأساتذة[5] وإنسحاب الأوروبيين منها لضعف رواتبهم وعدم إنتظامها.

–لكن تكاليف المدرسة لم تكن باهضه أبداً فهي تساوي 150 ألف ريال، وهذا المبلغ يعد نصف راتب الوزير الأكبر مصطفى خزندار، لهذا يرجح أن الإهمال كان متعمداً من طرف الباي ووزرائه، فضعف إرادة الباي السياسية وجهله بالأمور العسكرية هو السبب الحقيقي لإغلاق المدرسة، ومن عيوب المدرسة هو ما ذكره مديرها العقيد دي تافارن في تقريره للباي محمد الصادق وهو قلة تلاميذها فهم لا يدخلون للمدرسة بشكل منتظم كل سنة وبعدد ثابت، وهذا لا يناسب التعليم العسكري التطبيقي بالإضافة أن الأساتذة المكلفون بالدروس التطبيقية لم يحضرو ولم يستفيد التلاميذ إلا من الدروس النظرية، وعندما طلب من الدولة زيادة التلاميذ رفضت هذه الأخيرة[6].

– فبدأت تضعف عن القيام بواجباتها وخاصة بعد موت مديرها دي تا فارن واستقالة مديرها الذي جاء بعده الرائد كمبنون Campenon[7]، حتى أغلقت أبوابها نهائياً 1869م[8]، ولكنها تعتبر محاولة إصلاحية مبكرة كانت ستفيد لو اهتموا بها أكثر[9].

2– إيجابيات الاهتمام بتأسيس المكتبات وبحركة النشر والطبع:

–تم ربط تونس بمركزي النشر الهامين في العالم العربي بيروت ومصر فكثرت المراسلات والمبادلات، واتسع باب جلب الكتب المطبوعة في الشرق وترويجها بتونس.

–في عام 1874م بدأت المطبعة تصدر تقويماً سنوياً، استمر صدوره حوالي ثلاثين سنة بانتظام، بالإضافة إلى طبع القوانين التنظيمية والدينية.

لإيطاليا سنة 1876م لتتبع قضية نسيم بيشي، توفي هناك عام 1887م من مؤلفاته حسم الألداد في نازلة محمود بن عياد، والقسطاس المستقيم في اختلال الحكم بنفي جنسية القائد نسيم، أنظر محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص ص65–69.

[1] علي المحجوبي، المرجع السابق، ص87.

[2] نور الدين الصغير، الأطروحة السابقة، ص237.

[3] خليفة الشاطر، تر إبراهيم بلقاسم، مر أحمد الخصخوصي، **التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار إيالة تونس من سنة 1815م–إلى سنة 1857م**، دار سيناترا، تونس، 2015م ، ص ص 473–475.

[4] محمد السعيد عقيب، محمد العيد قدع، "الإيالة التونسية والسلطنة العثمانية...مظاهر التبعية وتجليات الانفصال"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، العدد 20، ص170.

[5] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، المقالة السابقة، ص ص516–517.

[6] الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**، ص102.

[7] الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**، ص57.

[8] رابحة محمد خضير، لمى عبد العزيز مصطفى، المقالة السابقة، ص ص56–517.

[9] الشيباني بنبلغيث، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق**، ص57.

-وكان يقوم خير الدين بنشر أفكاره في المسائل السياسية عن طريق المقالات المرشدة والتي لها دور في إيقاض الأهالي السكان وإرشادهم.

-وكان لجريدة الرائد تشتمل على قسم رسمي تدرج فيه الأوامر والقوانين والتسميات وقسم غير الرسمي تنشر في الأخبار الداخلية وأخبار التقدم العلمي والإكتشافات والإختراعات ومقالات مترجمة عن الصحف الأوروبية.

-وقد استغل خير الدين الصحافة للحث على التسامح والتبصر في وضع الأقليات.

-بالإضافة أن الصحافة وفرت المجال المناسب لعملية التحديث اللغوي من حيث المصطلح ومن حيث الأسلوب.[1]

-وعلى سبيل المثال وجه الجنرال حسين تقريرً مفصلاً به عشرة نقاط سلط الضوء فيها على أهم المشاكل التي يعاني منها الطلبة والأساتذة ونشره في جريدة الرائد وكان ذلك في 6 سبتمبر 1871م[2].

- عام 1903م كانت النخبة التونسية في أوج نشاطها الوطني والفكري فقد كان شعارها تونس للتونسيين، وفي عام 1913م كانت تونس تحيا على معالم النهضة إذا عرفت رواج العربية التي تصلها من مصر والنشاط الخطابي والصحفي لعبد العزيز الثعالبي وبهذا كان قائد الجهاد العلمي والأدبي، وكانت تصدر عدة جرائد وطنية منها جريدة الأمة ومرشد الأمة وجريدة التقدم والمبشر والمشير والوزير والاتحاد والزهرة وغيرها،[3] بالإضافة إلى ظهور الجمعيات والأحزاب كحزب الحر الدستوري الذي تأسس1920 برئاسة عبد العزيز الثعالبي والجمعية الخلدونية 1897م،[4] وهذا كله إنعكاس للحركة الإصلاحية التي حدثت خلال القرن 19م.

3- النتائج التي ظهرت في تونس كحصيلة لحركة الإصلاح الديني:

-فتح باب الإجتهاد وظهور أفكار دينية جديدة، حيث بدأت دعوة ملحة من قبل المفكرين، وكان أكثرهم من رجال الدين المتخرجين من جامع الزيتونة مثل ابن أبي ضياف وقبادو وبيرم وغيرهم إلى إصلاح الدين عن طريق الإجتهاد فيه، وذلك سعياً منهم للتوفيق بين تعاليم الدينية الإسلامية وبين ما يتطلبه العصر من تطور وأنظمة ومبادئ وقوانين حديثة.

-أول مسعى لفتح الإجتهاد في الدين في تونس خلال القرن 19م كان على يد شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث، وهو الذي أفتى بجواز الاتقاء[5] من الوباء وذلك بوجوب اتخاذ التدابير الحديثة الأوروبية لقطع العدوى، وذلك بقطع كل اتصال برا وبحرا مع البلد الذي انتشر فيه الطاعون.

4- وكان لإصلاح التعليم في جامع الزيتونة نتائج منها:

-الأمر الصادر في 1875م وجاء بإعادة تنظيم وتعديل العلوم المدروسة، وإصلاح شؤون الطلبة والأساتذة، وأعمال المشايخ والنظار، وطريقة تنظيم الإمتحانات، وتم إحداث وظائف ثلاث هي مستشار للمعارف بالوزارة الكبرى وتعيين نائبين لهذا المستشار بالجامع الأعظم، وبهذه الطريقة تمكنت الدولة من مراقبة التعليم.

- وقسم التعليم إلى ثلاث درجات تتمثل في الإبتدائية والثانوية والعالية، وتم وضع نظام المراقبة والتفتيش، مما جعل التعليم أكثر إنضباطاً.[6]

- مثل جامع الزيتونة منارة للعلم في تونس تضاهي جامع الأزهر في مصر.

---

[1] دوحة عبد القادر، المقالة السابقة، ص ص90-93.

[2] أحمد الطويلي، **التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، ص171.

[3] خالد أقيس، **الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين**، ط2، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 20-23.

[4] محمد بوطيبي،" التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين (دراسة في المنهج والبرنامج)"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، العدد 5، جوان 2017م، ص 194-198

[5] رشاد الإمام، المرجع السابق، ص ص196-197.

[6] دوحة عبد القادر، المقالة السابقة، ص85.

– ويقدم جامع الزيتونة مجموعة من العلوم المهمة للطلبة الزيتونيين فيدرسون لمدة سبع سنوات كاملة لتخرج من جامع الزيتونة وتولي المهام التعليمية.

– لعب الجامع دورا كبيراً في تكوين نخبة علمية مثقفة في تونس انعكس تأثيرها في الحركة الإصلاحية مثل أحمد ابن أبي ضياف وبيرم وقابادو وغيره الكثير[1].

–وبرز الزيتونيون في مجال الصحافة وكانوا رواد في هذا المجال، فقام النشاط الصحفي التونسي منذ عام 1904م بل منذ تأسيس جريدة الرائد التونسي 1860م بالأساس على كواهل الزيتونيين، وبرز من بين صفوفهم كل محمد السنوسي وإبنه زين العابدين وعبد الرحمان الصنادلي وغيرهم الكثير.

–وقد أسس الزيتونيون عدد من الجمعيات منذ 1907م حتى أنه يصعب إحصاءها منها "جمعية تلامذة جامع الزيتونة" و "جمعية الزيتونية". وقد انفرد الزيتونيون بالنشاط السياسي دون غيرهم خلال الحرب العالمية الأولى[2].

5– نتائج تأسيس المدرسة الصادقية:

– ويقول محمد الطاهر بن عاشور: « ... **فالتعليم الصحيح إذن يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تمرس بالأشغال والأعمال**... »[3].

–لذا كانت المدرسة الصادقية حدثاً تاريخياً متميزاً بالنسبة إلى تونس لأنها ستدعم اللحمة الوطنية بين تلاميذ جاؤوا من كل الأصقاع ومثلت في الآن نفسه من حيث الكم توزناً نسبياً قي مجال الإزدواجية اللغوية في تونس، إذ كانت اللغة الفرنسية بها هي لغة تدريس العلوم العصرية، واللغة العربية هي لغة التراث[4].

–إتجه خير الدين عن قناعة إلى الإستثمار الإستراتيجي في التربية والتعليم، مما يساعد على تكوين نموذج جديد من النخبة العصرية المتفتحة على قيم التجديد والإصلاح، حتى أن المتتبع لنظرته وفكره العلمي يمكن أن يستنتج أنه بالنسبة إليه لا خلاص لتونس إلا بتطوير المعارف، لذلك لم يكمن هدفه من تأسيسه للمدرسة الصادقية مجرد التعليم فقط، وإنما الهدف منها هو إنشاء إطار موضوعي لتكوين نخبة مثقفة قادرة على إحداث التغيير في جميع المجالات،[5] فالطبقة التي أنبتها خير الدين برياض تلك المدرسة هي أرقى أفراد الأمة ومنبعث النهضة في تلك الأيام.[6]

فاستفادت تونس من رواد الحركة الوطنية وهم في غالبيتهم خريجي المدرسة الصادقية الذين تمكنوا فيما بعد من تأسيس الجرائد والجمعيات الثقافية ونشر الوعي الوطني في صفوف الشعب التونسي.[7]

–ومع ذلك كانت هناك بعض الجوانب السلبية، في المجتمع التونسي رفضت الإصلاح التعليمي، حيث أن القيم الثقافية السائدة غير ملائمة للتحديث مثل التعلق بالماضي ورفض أي تجريد مهما يكن نوعه لأنه بدعة وقيم الخرافة والبدع المنتشرة، والتواكل وشجب العمل مثل رواج الأمثال " لي خدموا ماتوا" وتمجيد الكسل مثل رواج أسماء مثل " الناعس" وتمجيد الفقر والخصاصة فالطلبة يسمون بالفقراء باعتبار المال

[1] دوحة عبد القادر، المقالة السابقة، ص88.

[2] الزيدي علي، " الزيتونة: دورها في حركة التحرير الوطنية التونسية "، **الحوار المتوسطي**، (15–16)، مارس 2017م، ص ص 142–143.

[3] محمد الطاهر بن عاشور، **أليس الصبح بقريب "التعليم العربي الإسلامي"**، ط1، **دار** السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دار سحنون للنشر والتوزيع، مصر، تونس، 2006م، ص11.

[4] الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص232.

[5] دوحة عبد القادر، المقالة السابقة، ص88.

[6] أحمد الطويلي، **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس**، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992م، ص33.

[7] دوحة عبد القادر، المقالة السابقة، ص88.

"وسخ الدنيا"، فكان الناس يجنحون للاستقالة مبكراً لتفرغ للعبادة[1]، فكثير من رجال الدين قاطعوا المدرسة الصادقية ورفضوا إرسال أبنائهم إليها باستثناء سالم بوحاجب[2].

خاتمة:

نستنتج أن:

- أن الطابع العسكري غلب على إصلاحات أحمد باي والطابع السياسي والقانوني ميز إصلاحات كل من محمد باي ومحمد الصادق باي، أما إصلاحات خير الدين التونسي فكانت إصلاحات ثقافية وتعليمية بحتة، وهذا ما جعل المدرسة الصادقية تكون مصدر لإنشاء وتكوين طبقة المثقفة في تونس خلال القرن 20م والتي ستقود الحركة الوطنية التونسية.
- أما المدارس الأجنبية التي اتشرت في تونس خلال عهد أحمد باي فكان لها دور في التغريب ونشر الثقافة الأوروبية في المجتمع التونسي.
- إنتشرت طباعة الكتب والمؤلفات مما ساعد في نشر الأفكار الإصلاحية والوعي بين أفراد الشعب.
- أما الجرائد فكان لها دور في نشر أخبار العالم والإختراعات الجديدة فيه مما سهل ربط المجتمع التونسي بالعالم الخارجي والتواصل معه بقراءة المقالات الأوروبية المترجمة في جريدة الرائد والإطلاع على الجرائد الأجنبية.
- إن التيار الإصلاحي تيار أصيل ظهر مع المشير أحمد باي في ثلاثينيات القرن 19م وتدعم وتكرس من طرف خير الدين التونسي.
- ويمكن القول إن أصول الحركة الإصلاحات التونسية كانت تستمد روحها من القوانين العثمانية والقوانين الأوروبية في إطار الشريعة الإسلامية.

-تخرجت الكثير من النخب العلمية والفكرية المثقفة من جامع الزيتونة من تونس ومن البلاد المغاربية كان لها دور فعال في قيادة الحركة الإصلاحية ثم الحركة الوطنية في بلدانهم.

- **قائمة المصادر والمراجع:**
- **المصادر:**

1- ابن أبي ضياف أحمد، تح لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، **إتحاف أهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، منشورات زخارف، تونس،2021م ج4.

2- التونسي خير الدين، تع وتح محمد العربي السنوسي، **مذكرات خير الدين باشا**، مطبعة المغرب للنشر، بيت الحكمة، تونس، 2008م.

3- الحداد الطاهر، تح محمد أنور بوسنينة، تق رجاء بن سلامة، **التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة**، دار الكتب الوطنية، تونس، 2020م.

4- بن الخوجة محمد، تق تح حمادي الساحلي، الجيلاني بن الحاج يحي، **صفحات من تاريخ تونس**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

5- السنوسي محمد بن عثمان، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح وتع محمد الشاذلي النيفر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

[1] الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص242.

[2] الهادي التيمومي، نفسه، ص232.

6- السنوسي بريست العابيرين ، **محمود قابادو**، مطبعة العرب، تونس، 1951م.

7- بن عاشور محمد الطاهر، **أليس الصبح بقريب "التعليم العربي الإسلامي"**، ط1، **دار** السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، دار سحنون للنشر والتوزيع، مصر، تونس، 2006م.

- **المراجع:**

1- الإمام رشاد، **التفكير الإصلاحي في تونس في الفرن 19م إلى صدور قانون عهد الأمان**، ط1، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010م.

2- أقيس خالد، **الشيخ العربي التبسي الرئيس الثالث لجمعية العلماء المسلمين**، ط2، دار الأملعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

3- الإنكشاري الهادي بن يونس بن محمد، **الدولة الحسينية من1705-1855م**، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ب ت، ب م.

4- بنبلغيث الشيباني، **الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882م)**، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس، صفاقس تونس، 1995م.

5- بنبلغيث الشيباني، **أضواء على التاريخ العسكري في تونس من 1837-1917م**، ط1، مكتبة علاء الدين، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، 2003م.

6- بنبلغيث الشيباني، **فصول في تاريخ الأوقاف في تونس من منتصف القرن التاسع عشر إلى 1914م**، ط1، دار نهى للطباعة والنشر والتوزيع، صفاقس، 2004م.

بوعلي لطفي، **التحديث العسكري قراءة ميكرو-تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881م)، ط1**، سوتيميديا لنشر والتوزيع، تونس، 2019م.

7- التيمومي الهادي، **تونس والتحديث (1831-1877م) أول دستور في العالم الإسلامي**، ط1، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.

8- الجمل شوقي عطا الله، **المغرب العربي الكبر في العصر الحديث**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977م.

9- أبو حمدان سمير، **خيرالدين التونسي أبو النهضة التونسية**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1993م.

10- سيار الجميل، **تكوين العرب الحديث**، دار الشروق، الأردن، 1997م.

11- الشاطر خليفة، تر إبراهيم بلقاسم، مر أحمد الخصخوصي، **التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار إيالة تونس من سنة 1815م-إلى سنة 1857م**، دار سيناترا، تونس، 2015م.

12- الطويلي أحمد، **التسامح والإصلاح في فكر المصلحين التونسيين**، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2005م.

13- الطويلي أحمد، **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس**، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992م.

14- عبد الوهاب حسن حسني، **خلاصة تاريخ تونس**، ط3، دار الكتب العربية، تونس، ب ت.

15- عبد السلام أحمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط 1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1987م، تونس.

16 - محجوبي علي، تع عمر بن ضر، حليمة قرقوري، علي محجوبي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، سراس للنشر، تونس، 1986م.

17- عبد السلام أحمد، **مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**، ط 1، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1987م، تونس.

18- محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.

- **المقالات:**

1- معيفي فتحي، " النخبة التونسية وحركة الإصلاح الوطني خلال القرن التاسع عشر "، **المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والإجتماعية**، المجلد 10، العدد 2، 2019م.

2- الجنحاني الحبيب،" الحركة الإصلاحية في تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر "، **حوليات الجامعة التونسية**، العدد6، 1969م.

3- خضير رابحة محمد، مصطفى لمى عبد العزيز، " التجربة الإصلاحية في تونس في عهد محمد الصادق باي 1859-1881م(دراسة في طبيعتها وابعادها "، **Route Educational Social Science Journal**، Volume6، 2019م.

4- دوحة عبد القادر، "الإصلاحات الثقافية والعلمية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م وعلاقتها بالحضارة الغربية"، **الحوار المتوسطي**، العدد 8، مارس 2015م.

5- إبراهيم حسين جبار، " إيالة تونس في عهد أحمد باشا باي (دراسة تاريخية)"، **المستقبل العربي**، المجلد 40، العدد 464، 2017م.

6- اللولب حبيب حسن، " الإصلاحات ودورها في التحديث السياسي في البلاد لتونسية "، **المجلة الجزائرية للأمن الإنساني**، العدد 3، 2017م.

7- عقيب محمدالسعيد، قدع محمد العيد، "الإيالة التونسية والسلطنة العثمانية...مظاهر التبعية وتجليات الانفصال"، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، العدد 20.

8- بوطيبي محمد،" التعليم في جامع الزيتونة خلال النصف الأول من القرن العشرين (دراسة في المنهج والبرنامج)"، **المجلة المغاربية للمخطوطات**، العدد 5، جوان 2017م.

9- الزيدي علي، " الزيتونة: دورها في حركة التحرير الوطنية التونسية "، **الحوار المتوسطي**، (15-16)، مارس 2017م.

- **الرسائل الجامعية:**

1- بوعلي لطفي، **ديناميكية التحديث العسكري في البلاد التونسية خلال القرنين 18-19م: مقاربة في التاريخ الاجتماعي**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية بتونس، جامعة تونس، 2015م.

2- الصغير نورالدين، **إشكالية الحداثة لدى النخبتين التونسية والمصرية في القرن 19م**، أطروحة دكتوراه دولة، السنة الجامعية 1992-1993، جامعة الزيتونة، تونس.

- **المصدر والمراجع باللغة أجنبية:**

1- Ganiage Jean, Preface Khalifa Chater, **Les Origine du protectort Français en Tunisie 1861-1881,** BERG Editio, 1959., p79.

2- Guellouz Azzedine, Masmoudi Abdelkader, **Histoire Générale de la tunisie tome 3 Les temps Modernes**، Sud Editions ،Tunis، 2010.

3- Flaux. A.De, **La Regence de Tunis Au xix° Siecle**, Libraire- Editeur, Paris, 1865.